من قديم – أن المسرحية تطورت عن الملحمة . وليس همنا الآن الوقوف لتحقيق هذه المسألة . وإنما يهمنا بيان الفرق فى الموقف بين الملحمة والمسرحية ، لأن الخلط بين الموقف الملحمى والمسرحى – ونظير المسرحية القصة – يؤدى إلى ضعف فى البناء الفنى ، وقصور فى فهم معنى المسرحية أو القصة ، وهو ما يتحاشاه كبار الكتاب . وكثيراً ما يتراءى هذا الخلط لدى بعض كتابنا المعاصرين ، ولهذا نرى أن نجلوا هذا الأمر كما فهمه النقاد والكتاب العالميون ، لنتبين بعد ذلك أثره فى إنتاجنا الأدبى وفى توجيه هذا الأدب .

ولا جدال فى أن الملحمة أدنى فى درجتها الفنية من المسرحية والقصة . ولا شك كذلك فى أن كثيراً من المسرحيات ، وبخاصة فى الأدب اليونانى والرومانى ، ثم الكلاسيكى – وكذلك القصص فيما بعد – قد أخِذَتْ شخصياتها عن الملحمة ؛ وإذن ، لا فصل بين شخصيات الملحمة وشخصيات المأساة من حيث هى شخصيات . فكثيراً ما أخذ مؤلفو المأساة أبطال مآسيهم عن الملاحم ، غير ملومين ؛ ولكن الفرق بين الملحمة والمأساة إنما هو فى الموقف . فلا ينبغى أن يقوم جدال فى أن هناك فروقاً فاصلة بين الموقف فى الملحمة والموقف فى المأساة ، بحيث تتغير السمات الفنية والإنسانية للشخصيات المأسوية إذا انتقلت من الملحمة إلى المأساة .

ومرد الاختلاف « فى الموقف » إلى طبيعة الجنس الأدبى ودرجة رقيه الفنية فى سلم الأجناس الأدبية . ومن هذا الجانب كانت المأساة أرقى من الملحمة فى تاريخ تطور الأجناس الأدبية . ذلك أن الملاحم كانت أول مظهر لخروج الآداب من المجال الدينى – أدب المعابد ذى الطابع الدينى المحض – إلى المجال الإنسانى . ثم مثلت المأساة المرحلة التالية فى توغلها فى الطابع الإنسانى . وفى الملاحم حلت عبادة الأبطال محل عبادة الآلهة ، فكانت أعمال الأبطال مثار إعجاب يبلغ درجة